الحنين للأهل

حين اختطف على بك من أرض موطنه بالقوقاز ، وألقت به المقادير ليعيش على ضفاف النيل حياته الجديدة والمختلفة جدا عما نشأ عليه بين أحضان أسرته الأصلية ، كان عمره يناهز الخامسة عشرة سنة ، وهى سن يدرك فيها الإنسان وطنه وبيئته وعادات وتقاليد أسرته تمام الإدراك .

ورغم التحولات الجذرية فى نظام معيشته وثقافته وتربيته وتنشئته نشأة دينية مختلفة كل الاختلاف عن نشأته الدينية السابقة ، فقد ظل فى وجدانه الحنين إلى أفراد أسرته والتوق إلى لقائهم أو معرفة أخبارهم ، ولكن الظروف لم تتح له . وظل يرقى فى سلم المراتب المملوكية حتى وصل إلى منصب كاشف شرقية أى الحاكم لإقليم الشرقية ، وربما حاول حين وصل إلى هذا المنصب أن يتصل بعائلته الأولى ، ولكنه آثر الانتظار حتى ينتصر فى معاركه العتيدة ، ويقوى على مناجزة منافسيه لمنصب مشيخة البلد بعد وفاة سيده وأستاذه إبراهيم بك .

ولما وصل إلى منصب شيخ البلد ، وأصبح الحاكم الأعلى للبلاد دون منازع أو منافس ، ودانت له البلاد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال ، وجد الفرصة متاحة لكى يبعث برسالة[1] لمعرفة أخبار عائلته ، واستدعائها للعيش بجواره ، فى وطنه الجديد الذى استقر فيه ، ووصل فيه

---

(١) كتاب ثورة على بك الكبير لأنور زقلمة ص ٥٤